

المنهج الإسلامي في معالجة
العنف الاجتماعي
(دراسة فكرية معاصرة)

الدكتور أحمد خزعل جاسم
كلية أصول الدين / الجامعة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم المقدمة

الحمد لله القائل في محكم التنزيل ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(١) والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ القائل: (يا عائشة: إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه)^(٢) وعلى آله صحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد... فيتصور البعض أن مشكلة العنف من المشاكل الطارئة والحديثة التي ظهرت في المجتمع البشري أخيراً، وأنها لم تكن موجودة من قبل، فهي واحدة من الظواهر التي طرأت على المجتمع نتيجة وجود التطور والتغيرات الكبيرة التي أصابت المجتمع بأكمله، لكن ما ذكر غير صحيح، ذلك أن مشكلة العنف مشكلة قديمة وليست وليدة هذه التطورات التي يعايشها المجتمع اليوم، بل هي قديمة بقدم البشرية، ويمكن القول بأن أول ظهور لها يوم قام قابيل بقتل أخيه هابيل، عندما قدما قرباناً فتقبل من أحدهما لم يتقبل من الآخر، فدعى ذلك إلى أن يقتل قابيل هابيل، وقد قابله قابيل بالرفق.

قال تعالى: ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٣) فعملية القتل التي قام بها قابيل ممارسة للعنف، ثم تطور هذا العنف من نوع فردي إلى عنف جماعي، بأشكال متعددة، فكان عنفاً جماعياً قبلياً، وكان عنفاً جماعياً طائفيّاً، كان عنفاً جماعياً قومياً، وكان عنفاً جماعياً فئوياً، وهكذا.

(١) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.

(٢) مسلم، المسند الصحيح. رقم الحديث ٢٥٩٣.

(٣) سورة المائدة: الآية ٢٨.

وقد أكد القرآن الكريم في العديد من آياته الشريفة على حالة التطور الموجودة للعنف وذلك من خلال إشارته إلى تعرض أنبيائه ورسوله إلى العنف بأشكاله المختلفة.

ومن تلك النماذج ، أنه لما ارتد بنو إسرائيل وعمدوا إلى عبادة الأصنام ، اقاموا بتعذيب الأنبياء وقتلهم، وحولوا بيت المقدس إلى سجن رسمي للأنبياء ومن يتبعهم، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه المعاناة، قال تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾^(١).

وأهمية البحث كبيرة جداً في مواجهة الهجمة العنيفة، ضد أبناء الأمة الإسلامية مستهدفة وحدتها وتماسكها، وإشاعة روح الخلاف والفرقة بين الصفوف أبنائها، فضلاً عن ذلك هو استحداث أعداء جدد وإشغال المسلمين بهم عن عدوهم الحقيقي، عن ذلك تقتضي مشكلة البحث هو الابتعاد عن العنف في مجتمع المسلم بشتى أشكاله ، و إشاعة روح التسامح والمحبة بين أبناء البلد الواحد وان اختلفت أفكارهم أو حتى معتقداتهم.

واقتضت طبيعة البحث ان اجعله في اربعة مطالب:

الأول: بينت فيه المفهوم العام للعنف والحكمة في الشريعة الإسلامية. وأما المطلب الثاني: فهو أسباب العنف ودوافعه المختلفة، الاقتصادية منها والاجتماعية والسياسية والدينية أو المذهبية.

أما المطلب الثالث فتكلمت فيه عن أنواع العنف، منه العنف الاجتماعي المادي، والذي تركز على ثلاثة أنواع (السجن أو القتل أو النفي أو المطاردة)، وكذلك العنف المعنوي والذي يعني إلغاء فكرة الآخر وفرض عقيدة الطغاة ومناهجهم على

(١) سورة البقرة: الآية ٨٧.

الناس ، وكل كذلك إنما يوجه لأصحاب الحق ، وذلك لإيقاف نشر نور العقيدة والإيمان.

وأما المطلب الرابع فقد بينت فيه المعالجة القرآنية والنبوية للعنف الاجتماعي من خلال الجوانب الذاتية والتشريعية. وختمت البحث بذكر أهم النتائج والتوصيات، راجياً من الله العزيز الرحيم (سبحانه وتعالى) القبول والموفقية، الحمد لله رب العالمين.

المطلب الأول

المفهوم العام للعنف وحكمه الشريعة الإسلامية

والعنف كغير من المفاهيم لها معنيان وهما:

أولاً: معنى العنف في اللغة:

العنف في اللغة ضد الرفق، ويراد به الشدة والخرق، كما يستفاد ذلك من معاجم اللغة العربية، إذ جاء عن ابن منظور قوله:

(العنف: الخرق بالأمر وقلة الرفق به وهو ضد الرفق... وهو بالضم الشدة المشقة وكل ما في الرفق من الخير وفي العنف من الشر مثله)^(١) والعنف يدل على خلاف الرفق^(٢) يقال اعتنف الأمر أخذه بشدة والعنيف الشديد من القول والفعل يقال: عنف عنفاً فهو عنيف ومنه يسمى من ليس له رفق بركوب الخيل عنيفاً^(٣) وجاء أيضاً في بيان معنى العنف (العُنْفُ مُثَلَّثَةُ الْعَيْنِ: ضِدُّ الرِّفْقِ. عُنْفٌ كَكَرْمٍ عَلَيْهِ وَبِهِ وَأَعْنَفْتُه أَنَا وَعَنْفَتُهُ تَعْنِيفًا. وَالْعَنِيفُ: مَنْ لَا رِفْقَ لَهُ بِرُكُوبِ الْخَيْلِ وَالشَّدِيدُ مِنَ الْقَوْلِ وَالسَّيْرِ)^(٤)

ثانياً: معنى العنف في الاصطلاح:

لم ترد لفظة العنف في القرآن الكريم، إذ يجد المتتبع خلو آياته الكريمة من ذلك ، لكننا نجد إشارات إلى الأمر باللطف والرحمة واللين.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَا رَحِمَ مِنْ اللَّهِ لَئِنْ لَهِمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّصُوكَ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٥)

(١) ابن منظور، لسان العرب. مادة عنف. (٢٥٧/٩).

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة. مادة عنف. (١٥٨/٤).

(٣) ينظر: الجوهري، الصحاح، مادة عنف (١٤٠٧/٤)، الزبيدي، تاج العروس. مادة عنف. (٣٠٥/٦).

(٤) الفيروزآبادي. محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. فصل العين ١٠٨٥.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

ونجد في السنة النبوية الشريفة، ما يوضح ذلك، فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه^(١) وحينما نبحت عن تعريفه في الاصطلاح ، نجد أن المناوي يقول في تعريفه: (العنف عدم الرفق)^(٢).

فالعنف: هو الشدة في القول أو رأي أو فعل أو حال ! وهو ما يُولد ما يسمى بالعنف الديني، والعنف العلمي والعنف الفكري في الرأي والفهم والتصور^(٣).

ومما جاء في ذم العنف والشدة قول ﷺ: (ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)^(٤) وبناءً على هذا نستطيع أن نعرف العنف فنقول: هو كل سلوك فعلي أو قولي يتضمن استخداماً للقوة أو تهديداً باستخدامها لإلحاق الأذى والضرر بالآخرين، وإتلاف الممتلكات لتحقيق أهداف معينة.

ثالثاً: حكمة في الشريعة الإسلامية:

إن العنف غير المنضبط يمثل وجوده في المجتمع خطراً عظيماً، لأنه إنما هو: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾^(٥).

بل إن العنف بهذا المعنى يبرز حقيقة في كل عمل يهدد أمن الناس الجسدي، أو ممتلكاتهم ، بل حتى أفكارهم ومعتقداتهم، وارثهم الثقافي والحضاري.

العنف ظاهرة جرمية أكد الإسلام على حرمة التعامل به مع بني الانسان فضلاً عن المخلوقات بكافة أشكالها ، بل ذكر أن امرأة دخلت النار في هرة عذبتها.

(١) صحيح مسلم رقم الحديث: ٢٥٩٣.

(٢) المناوي. محمد عبد الرؤوف. التوقيف على مهمات التعاريف دار الفكر- بيروت. ط ١ (١٤١٠هـ) تحقيق:

د. محمد رضون الداية. ص ٥٢٩.

(٣) ينظر: علي بن عبد العزيز بن علي الشب. الجذر التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب

(٤) البخاري. الجامع الصحيح. رقم الحديث ٣٠٥١

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٠٥

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض)^(١).

بل أكد ابن عمر على هذا المعنى حينما قال: (كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تفرش فجاء النبي ﷺ فقال من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال من حرق هذه قلنا نحن قال انه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار)^(٢). وان مما يدل على أهمية هذا الموضوع قدر تعلقه بحقوق المخلوقات جميعاً، ولكن بين أنه تبرز ظاهرة طارئة يتوجب فيها اللجوء إلى العنف حينما يستلزم الأمر دفع المخاطر ورفع المظالم، ودفع العنف الأكبر.

قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ

لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

ولذلك أكد النبي ﷺ على حرمة دم المسلم بقوله: (لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والشيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة)^(٤). ولا يحل العنف إلا في حالات منضبطة يحددها القضاء لدفع ذلك عنفا أكبر وفتنة أعظم، كما عبر عن ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٥). وهذا الأمر مفصل في أحكام القتال يمكن مراجعته وما في غير ذلك، فالعنف أمر غير مشروع يؤدي إلى فتنة الناس وإهلاك الحرث والنسل.

(١) البخاري. الجامع الصحيح. رقم الحديث: ٣٣١٨.

(٢) أبو داود. سنن أبي داود. رقم الحديث: ٢٦٧٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٦.

(٤) البخاري: الجامع الصحيح. رقم الحديث ٦٨٧٨.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٧٩.

المطلب الثاني أسباب العنف ودوافعه

نجد من الواجب التعرف إلى أسباب العنف ودوافعه، وذلك في محاولة لتجنب الوقوع في هذا لخطر الكبير، خاصة في المجتمعات المسلمة، التي ينبغي أن تسود فيها، روح المحبة والتسامح والمودة.

يقول رسول الله ﷺ (تري المؤمنين: في رحمتهم، وتوادهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى) ^(١).

إننا من خلال التوجيه النفسي لحقيقة العنف نجد انه سلوك ينتج عن الإحباط، وقد يكون مصحوباً بعلامات التوتر ويحتوي على نية مبيتة لإلحاق ضرر مادي أو معنوي بكائن حي، أو غيره من خلال التصرفات العنفية التي تصدر عن هذا الإنسان أو غيره.

واهم هذه الأسباب التي قد تستلزم الأعمال العنفية في المجتمعات، والتي يجب على الأمة معالجتها، للخروج من محنة الفرقة والصراع، وهي كل الآتي:

أولاً: الدافع الاقتصادية:

تحصل الكثير من الأعمال العنفية نتيجة دوافع اقتصادية، ولتحقيق مكاسب مالية، فإن انتشر في أمة الفقر والجوع وتسلط الطغاة على أقوات الشعوب وخيراتهم، في هذه الحالة ولعدم توفر سبل العمل الشريف، وانتشار البطالة بشكل كبير، يبدأ البحث عن موارد مالية بصورة غير مشروعة، وتستغل العصابات المجرمة هذه الدوافع الاقتصادية الملحة في زرع بذور العنف والقتل، ف (الظروف الاقتصادية والاجتماعية غير المستقرة التي لا يتحقق فيها تلبية احتياجات الناس تدعم التعصب وتجعل النفوس ميالة إلى رفض الآخرين) ^(٢) ولقد بين النبي ﷺ أهمية توفير الوسائل العلمية للحصول على الرزق الحلال الذي يعف النفوس عن الحرام، إذ قال ﷺ (ما أكل

^(١) البخاري. الجامع الصحيح. رقم الحديث ٦٠١١.

^(٢) رفيف حبيب. الإيجاء الديني. ص ١٤٢

أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده^(١) وما ذاك إلا لبيان خطورة عدم توفر العمل وانحيار الوضع الاقتصادي بشكل كبير، وإن (من أسباب وجود الإرهاب أو ظاهرة العنف هو فقدان الثقة في النظام الاجتماعي القائم).

والفروق الشاسعة بين الطبقات في انحيار قيمة العمل وإهداره ، لم يعد العمل الآن هو مصدر الثروة ولا مصدر الهيبة والاحترام، وإنما أصبحت طرق غير مشروعته هي التي تجلب الثراء، وأصبح العمل غير مقترن بحسن الجزاء ، فيجب أن نعيد القيمة الحقيقية للعمل) ومن الواضح أن السبب الأساس في وجود مثل هذا العنف يعود لسوء الأحوال الاقتصادية، لأن سوءها موجب لحصول الإحباط واليأس والحقق على المجتمع، فيؤدي ذلك إلى الانتقام منه، فالفقر في حد ذاته دافع في لارتكاب جرائم العنف، كما أن يصاحبه من أوضاع اجتماعية ونفسية وعوامل خارجية قد تولد الإحساس بالظلم والاضطهاد، وبالتالي التورط في ارتكاب جرائم العنف. فانتشار البطالة في المجتمع داء خطير، وأما مجتمع تكثر فيه البطالة ويزيد فيه العاطلين، وتضمحل فيه فرصة العمل، فإن ذلك يفتح أبواباً من الخطر على مصرعها، ومن امتهان الإرهاب والجريمة والمخدرات والاعتداء والسرقة ، وما إلى ذلك.

فعدم اخذ الحقوق كاملة وعدم توفر فرصة العمل هذا يولد سخطاً عاماً يشمل كل من بيده الأمر قرب أو بعد، فإن الناس يحركهم الجوع والفقر والعوز ويسكتهم المال.

ثانياً: الدوافع الثقافية والاجتماعية:

وهو العنف الذي يمارسه بعض الجماعات المتطرفة ضد بعض التقاليد أو القيم السائدة في المجتمع ، وذلك من خلال الاحتجاج الرفض والمعارضة للظواهر الوافدة على المجتمع من خارجه، أو القيام بمقاطعة كل ثقافة غريبة عن بيئة المجتمع وأخلاقه، واتهام المجتمعات بالجاهلية المعاصرة، ويتحقق هذا في محاربة التطور والمعاصرة وإن

(١) البخاري. الجامع الصحيح. كتاب البيوع. باب كسب الرجل وعمله بيده، رقم الحديث ٤٣٢٥.

دلت النصوص الشرعية على إباحتها ولم يرد في تحريمها نص واضح، وما ذلك إلا للافتقار للمنهج السليم في الدعوة إلى الله تعالى.

فيشيع بين الناس أنه لا يوجد علاج لما نشاهده من معصية أو تقصير في طاعة الله إلا بما يسمى (العقوبات الصارمة هي التي تحمي هبة الدولة وتحفظ المجتمع، وهذا انصح وأدت العقوبة غرضها في إخافة الناس، فإنها تؤدي كذلك غرضاً آخر أكثر خطورة وأهمية هو قتل الروح المعنوية، وقبر الايجابية المحركة لعامة الشعب... بمعنى آخر، فإنه لكي يؤمن الحاكم الظالم نفسه وبطانته ضد تحرك الناس لتحرروا من ظلمه، فإنه قتل فيهم النخوة والحمية)^(١) ولأجل هذا قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ قَطًّا غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعُفْ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٢) وعلى هذا ينبغي التعامل مع هذه المسائل بشي من الحرص والدقة حتى لا تولد آثاراً سلبية على الواقع الاجتماعي والثقافي.

ثالثاً: الدوافع السياسية: ويقصد منه الممارسات التي تتضمن استخداماً فعلياً للقوة أو تهديداً باستخدامها لتحقيق أهداف سياسية تتعلق بشكل نظام الحكم وتوجيهاته الإيديولوجية، بسياساته الاقتصادية والاجتماعية.

يقول الكاتب مصطفى حجازي: (ردود فعل سلطة عنيفة ومباشرة وتأخذ طابعاً مادياً والبنية الاجتماعية التي تنتج عن هذه الوضعية جامدة متصلبة لا تتضمن أي صمامات أمان أو أي تقنية للعدوانية التي لا بد أن تتراكم، ولذلك فإن هذه العدوانية لا بد أن تتفجر في الداخل والخارج تبعاً للظروف)^(٣) بل يعد إهمال الرعية أو التقصير

(١) البر. د. عبد الرحمن. عوامل الهدم والبناء في المجتمع الإسلامي. ص ١٨-١٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٣) مصطفى حجازي. التخلف الاجتماعي، سيكولوجية الإنسان المقهور. بيروت. معهد الإنماء العربي.

في أمورهم وفي ما يصلحهم، ومن الأسباب المشجعة للعنف، لذلك على جميع من يلي أمراً من أمور المسلمين أن يقوم بما أمره الله به من أداء الأمانة، وحفظ الديانة والنصح للأمة، والصدق مع الرعية، وتلمس حاجات الناس، وتحقيق الحياة الكريمة لهم، لأنه متى ما أهمل أرباب المسؤولية رعاياهم، أو قصرُوا مع شعوبهم، أو تشاغلُوا عن محكوميتهم، فذلك مفتاح الضياع، وطريق المهالك، ومتنفس الظلال.

قال رسول الله ﷺ (إن الله سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ ذلك، أم ضيع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته)^(١) فلذلك تكون الدوافع للتخلص من السلطات السياسية الظالمة سبباً رئيسياً في ظهور العنف ونشاطه، وليس من الحكمة أن تمتنن كرامة الإنسان أو تسقط حقوقه.

رابعا: دافع التعصب الديني المذهبي:

أن دراسة الفاحصة للجدور الفكرية لجماعات والأحزاب في (حياة المسلم المعاصرة) تتطلب نظرة عميقة لهذه الفرق الجماعات والأحزاب الداعية إلى ذواتها حصراً حيث تُصور كل فرقة وجماعة وحزب إلى الناس أنها هي القائمة على الإسلام، وكلٌّ من عداها مخالفٌ لها، وهذا التصور القاصر نراه عند الأغلب مطرداً ومتفقاً عليه. والقرآن الكريم حذر من هذا حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا أَلَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٢). وقال رسول الله ﷺ (يا عائشة ! إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، إنهم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة، يا عائشة إن لكل صاحب ذنب التوبة إلا أصحاب الأهواء والبدع أنا منهم بريء وهم مني براء)^(٣) فكل تطرف في الدين أو ما غلا فيه المسلمون فيسببه هذه الفرق والجماعات والأحزاب وهي بمجموعها مصدر البدع والفتن والأهواء والآراء، وأصل كل شر معارضة الشرع بالرأي، وتقديم الهوى عليه.

(١) النسائي. السنن الكبرى. رقم الحديث ٩١٢٩.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٩.

(٣) أبو نعيم. حلية الأولياء. (١٥٠/٤).

(فان كانوا مجتمعين على ما أمر الله به رسوله من غير زيادة ولا نقصان، فهم مؤمنون، لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم، وان كانوا قد زادوا في ذلك أو نقصوا، مثل التعصيب لمن دخل في حزبهم في الحق والباطل فهذا من التفرق الذي ذمّه الله تعالى ورسوله^(١)).

والتعصب: وهو عبارة عن الانحياز لشيء أياً ما كان ذلك الشيء، فقد يكون فكرة، فقد يكون معتقداً، أو شخصياً، أو يكون التعصب إما مع الشيء المتعصب له أو ضده. فأن كان مع الشيء المتعصب له، فيبرز من خلال الدفاع عنه ومساندة له ومؤزرته، ولو كان ضده فيبرز في مقاومته. ويمكن القول بأن التعصب فردين، أحدهما يكون ممدوحاً وهو ما إذا كان يبرز صورة اعتزاز بمعتقد أو مذهب أو قومية مثلاً لكن دون أن يؤدي إلى كراهية الآخرين واحتقارهم أو الاستعلاء عليهم^(٢). أما التعصب المذموم، فهو التعصب الذي يأخذ الشكل العدواني^(٣).

وهذا يعني أن لا تكون الاحتقانات الداخلية سبباً إلى تبني خيار العنف والقوة، بل المطلوب دائماً ضبط النفس والاعتدال.

والتعصب الديني والمذهبي غدا في الوقت المعاصر من أبرز الأسباب المؤدية للعنف، حيث نجد أن أشخاصاً يقتلون آخرين لمجرد الاختلاف المذهبي والعقائدي بينهم، نسأل الله تعالى أن يوحد صفوف المسلمين ويجمع شملهم.

(١) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. (٥٤/١١).

(٢) سئل ﷺ (من العصبية أن يحب الرجل قومه؟ فأجاب لا: إلا أن يعينهم على الظلم).

(٣) يقول المصطفى ﷺ (ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية).

المطلب الثالث

أنواع العنف الاجتماعي

للعنف أنواع متعددة تظهر طبقاً لدوافعه وأسبابه وكذلك الغايات المقصودة، فقد يكون العنف فردياً، وقد يكون جماعياً.

وهذا يستدعي الإشارة إلى هذه الأقسام وبيانها بصورة موجزة، علماً أن موضوع بحثنا عن العنف الاجتماعي، هو كما يأتي بيانه:

أولاً: العنف الاجتماعي المادي:

وهو يتعرض المجتمع إليه مما يصيب جسم الإنسان من تعذيب وإبادة، واضطهاد، وترحيل وسجن، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾^(١) وما ذاك إلا لما يمتلكه من حقيقة إيمانية، تفرع الظالم وترعجه، قال تعالى مبيناً أسباب تعرض أصحاب الإخود للعباد والتهمة الموجهة إليهم ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^(٢) ومن خلال ذلك نجد أن حقيقة العنف كمفهوم تعتمد كلياً على ملاحظة الاتجاهات الثلاثة للعنف.

وعلى هذا الأساس، فإن السلوك العنيف يتضمن معنى الإرغام والقهر من جانب الفاعل، والخضوع أو المقاومة من جانب المفعول به أو المستهدف. ونرى أن أهل الحق تلازمهم صفة الرحمة في أغلب الأوقات، وأما أهل الباطل فالأصل أنهم غير رحماء، فإذا ما وجدت عند بعضهم بعض معاني الرحمة، فالغالب أنها بتحقيق مصالح يرغبون باستحصلها.

(١) سورة الأنفال: الآية ٣٠.

(٢) سورة البروج: الآية ٨.

ومن مظاهر العنف الاجتماعي المادي الذي ذكر في الآية الكريمة، ما يأتي:

■ المظهر الأول: سجن المعتدى عليه بدون حق:

وهذه العقوبة القاسية تعد عند الطغاة الفراعنة أهل الباطل تفضلاً منهم على أعدائهم من أهل الحق، لأن أهل الحق لا يستحقون الحياة، والسجن قد يكون محطة يعبر منها السجين إلى مشنقة الموت، أو ينسى في السجن نسيان القساة الذين نزعت الرحمة من قلوبهم، ففرعون يهدد موسى عليه السلام الرسول الموحد الذي يدعو إلى توحيد الله وعبادته وحده، ويحذره من أن يعبد إلها غيره، ويتوعده بالسجن مع المجرمين من قطاع الطرق وسارقي الأموال وقاتلي النفوس بدون حق، كما قال تعالى عنه: ﴿قَالَ لَنْ أَخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ﴾^(١) هذا التهديد بالسجن قصد منه إكراه الرسول الموحد الداعي إلى التوحيد الذي هو أصل كل حق، على الإشراف بالله وعبادة الطاغوت الذي هو أصل كل باطل (اللجوء إلى العنف والبطش عند العجز عن الإقناع والإفهام أسلوب الجهالة والجبابة)^(٢) ويوسف عليه السلام تعرض للسجن بسبب تنزهه عن الفاحشة التي طلبتها منه امرأة العزيز في قصر السلطة، وقصور طغاة الملوك والزعماء تضيق بالطاهرين الذين ينزهون أنفسهم من الفواحش، فلما رفض صاحب الحق الاستجابة لها واعتصم بالله طلبت سجنه، وكان السجن أحب إلى صاحب الحق من أن يستجيب للباطل، ووقف صاحب الحق عالي الرأس،

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٩.

(٢) الشنقيطي. أضواء البيان. (١٢٩/٩).

مفضلاً السجن على الاستجابة للمنكر، كما قال تعالى عنه: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ

إِلَى مَا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(١)

ويصدر الحكم الظالم من أهل الباطل على البريء المظلوم صاحب الحق، دون رحمة

لضعفه ولا تقدير لبراءته كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٢)

■ المظهر الثاني: القتل بكل الوسائل المؤدية إليه:

رسل الله وأتباعهم من أهل الحق، يسمعون جادين إلى إنقاذ أهل الباطل من ضلالهم الذي يشقيهم في الدنيا والآخرة، شفقة عليهم ورحمة بهم، وأهل الباطل تتصلب قلوبهم وتقسو نفوسهم، فيهددون من يريد رحمتهم، بالرجم والعذاب الأليم ! لان قلوب أهل الحق مليئة بالرحمة وقلوب أهل الباطل خالية من الرحمة مليئة بالقسوة وقد هدد أهل الباطل بالرجم رسل الحق ودعائته وأهله، كما قال تعالى عن قوم نوح: ﴿قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنْتُحِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾^(٣) وقد هدد فرعون السحرة الذين استنجد بهم للانتصار على آيات موسى وبراهينه بسحرهم، فبطل سحرهم وتسلسل الإيمان برب موسى ودعوته إلى قلوبهم، فانقلبوا مؤمنين بالحق الذي جاء به موسى ﷺ ضد الباطل الذي قد نشأوا عليه وأعانوا عليه فرعون، وعندما ﴿قَالُوا

ءَاْمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤) ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾^(٥) اشتدت قسوة فرعون.

(١) سورة يوسف الآية ٣٣.

(٢) يوسف: الآية ٣٤ .

(٣) سورة الشعراء: الآية ١١٦ .

(٤) سورة الأعراف: أية ١٢١ .

(٥) سورة الشعراء: الآية ١٢٢ .

وقال تعالى عنه ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ مِّنَ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ^٤ لَا أَقْطَعُ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا أَدْبِرُكُمْ وَتَوَعَّدَ فرعون السحرة بالقتل والعقوبة (وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة في الإيمان بالله تعالى، ثم أقبل عليهم بالوعيد المؤكد إذ قال فلا أقطعن أي فوالله لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف أي اليد اليمنى والرجل اليسرى).

■ المظهر الثالث: إخراج القوي الضعيف من بلده وداره:

وقد يكون المعتدى عليه من أهل الحق الرحماء الذين يريدون الخير لذلك المعتدي، كالأنبياء والدعاة من أتباعهم. فتجد كيف يتلطف نبي الله شعيب عليه السلام مع قومه، ويطلب منهم الصبر والمهادنة، إذا لم يستجيبوا لدعوته، حتى يحكم الله بينه وبينهم، وترى كيف يردون عليه.

قال تعالى عنه، وهو يخاطب قومه: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ^(٢)﴾ فيردون عليه في قسوة وكبرياء: ﴿قَالَ أَلَمْأَلَأَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ^(٣)﴾ وقال تعالى عن قوم لوط، وقد دعاهم لوط عليه السلام إلى الطهر والعفة والبعد عن فعل الفاحشة المنكرة، فسخرها من دعوته لهم إلى التطهر من الفاحشة: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ^(٤) إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهَرُونَ﴾ (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون أي يتخرجون من فعل ما تفعلونه ومن إقراركم على صنيعكم فأخرجوهم من بين

(١) سورة الشعراء: الآية ٤٩.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٨٧.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٨٨.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٨٢.

أظهركم فإنهم لا يصلحون لمجاورتكم في بلادكم فعزموا على ذلك ف ﴿ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴾^(١) ﴿^(٢) . وقال تعالى مسلماً رسولاً ﷺ وقد أخرجهم قومه من أحب بلد إليه، المسجد الحرام: ﴿ وَكَأَنَّ مِنْ قَرَبَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةَ مِنْ قَرْنِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾^(٣)

ثانياً: العنف الاجتماعي المعنوي:

وهو ما يتضمن أعمالاً تصب الناس في إرادتهم وتفكيرهم ووعيهم، مثل خداع الفكر، وغسل الدماغ وما شابه.

فهذا فرعون يصادر عن قومه حرية التفكير والتعبير عن آرائهم، قال تعالى في محكم التنزيل مبيناً رأي فرعون الجبار العنيد وهو يخاطب قومه الذين استخف هو بعقولهم: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾^(٤) (حيثما حل العنف واللامشروعية، وانساق الجماهير دون تعقل خلف رايات متعددة، وخلف كلمات مبهمة، بالتالي قدرتها على الرؤية، وقدرتها على العطاء الحضاري، أصبحت لعبة في يد كل ناعق سواء كان ذا صوت طبعي أو مصطنع)^(٥).

قال تعالى مخاطباً عباده المؤمنين مصبراً لهم، مبيناً لهم، أنهم لابد أن يتعرض لهم أعداء الحق من أهل الباطل، من اليهود والنصارى والمشركين، بالأذى الذي يحتاجون معه إلى الصبر والتقوى في ثباتهم على الحق: ﴿ تَتَّبَلُّوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ نَصَرُوا وَاتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾^(٦)

(١) سورة محمد ﷺ: الآية ٣.

(٢) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. (٣/٣٦٩).

(٣) سورة محمد: الآية ١٣.

(٤) سورة غافر: الآية ٢٩.

(٥) د. عبد الحليم عويس. دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية. ص ٢٦.

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٨٦.

أسمع أيها الداعية المسلم من أعدائك (الطعن في الدين الحنيف والقدح في أحكام الشرع الشريف وصد من أراد أن يؤمن وتخطئة من آمن)^(١).

فهذا يعني أن يمارس العنف بشكل شديد الخطورة وهو العنف الفكري الذي يستوجب مصادرة آراء الناس، ولعلنا لا نبتعد كثيراً عن الواقع المعاصر وما حصل فيه من تكميم للأصوات الناطقة بالحق ومطاردة أصحابها بل وقتلهم، واتهامهم بالباطلة.

بل أن الانتخابات هو تعبير لإرادة الشعوب، وتلبية لمتطلبات حياتهم، وأي تزوير فيها يعد عنفاً كبيراً، وسرقة لحقوق الناس في اختيار من يمثلهم، ويتولى أمرهم، ولأجل هذا الأمر الجلل ينبغي أن تراعى حقوق الناس الفكرية.

ولعلنا نؤكد على ضرورة عدم استخفاف الرؤساء بعقول مرؤوسيهـم، كما فعل فرعون مع قومه، قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾^(٢) (فاستخف قومه فطلب منهم الخفة في مطاوعته، أو فاستخف أحلامهم فأطاعوه فيما أمرهم به، إنهم كانوا قوماً فاسقين، فلذلك أطاعوا ذلك الفاسق) وقال تعالى مسلياً رسوله ﷺ ومواسياً له على ما كان يلقاه من أذى قومه المشركين، بما لقيه قبله إخوانه المرسلون من أقوامهم: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْذُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرُوا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٣)

ومن هنا يتبين وجوب المصابرة على هذا العنف الذي يقصد به مصادرة حرية الكلمة، فالمسلم يجب عليه مواجهة هذا النوع من العنف، ويقف عند إمام جائر يصادر حقوق الناس في كلام والتعبير عن الآراء، بموقف بطولي شجاع.

(١) النسفي. تفسير النسفي. (١٩٦/١).

(٢) سورة الزخرف: الآية ٥٤.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٣٤.

ووقف السحرة بعد أن اتضح الحق لهم أمام فرعون الجبار العنيف، وحكى القرآن الكريم مقولتهم فقال تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(١)

^(١) سورة طه: الآية ٧٢.

المطلب الرابع

□ المعالجة الإسلامية للعنف الاجتماعي

المنهج الإسلامي في معالجة العنف، يؤكد من خلال العديد من آياته على لزوم تجنبه، من دون فرق بين نوع ونوع أو صورة وصورة منه، وعلى أي حال فقد طرح الإسلام منهجاً لعلاج العنف يتمثل في ركنين:

الركن الأول: المعالجة التربوية.

فيكون ذلك من خلال تربية الفرد تربية صالحة تقوم على أساس المحبة والرفق ليجعل منه فرداً صالحاً طيباً متسامحاً في بيته ومجتمعه، ونجد ذلك واضحاً من خلال، ما سنجده من الوصايا القرآنية والنبوية في هذا الجانب ومن أهمها ما يأتي:

أولاً: بث روح التسامح وإشاعة السلام في الإسلام:

دعت الشريعة الإسلامية إلى نبذ العصبية، وإشاعة التسامح والسلام، وأكدت النصوص القرآنية على كيفية تعامل الإنسان مع إخوانه في الإنسانية، وان اختلفوا في الاعتقاد، فمع جملة الكفار الذين لم يصدر منهم العداوة والمكر السيئ.

يقول تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(١).

أي (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرؤهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم إن الله سبحانه وتعالى عمّ بقوله الذين لم يقتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم جميع من كان ذلك صفته فلم يخص به بعضاً دون بعض ولا معنى لقول من قال ذلك منسوخ لأن بر المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرم ولا منهى عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام أو تقوية لهم بكراع أو سلاح)^(٢) هكذا أن التشريع الإسلامي أكد على التسامح والصلة مع من

(١) سورة الممتحنة: الآية ٨.

(٢) الطبري. جامع البيان. (٦٦/٢٨)

لم يضمّر العداوة والبغضاء، ومع من نجد فيه النية الحسنة للتعايش السلمي في مجتمع واحد تملأ روح المواطنة الصالحة والتكامل الاجتماعي، وتختتم الآية الكريمة بميزان العدل والإحسان بما معناه: (إن الله يحب المنصفين الذين ينصفون الناس، ويعطونهم الحق والعدل من أنفسهم، فيبرون من برهم، ويحسنون إلى من أحسن إليهم)^(١). فالإنصاف و التسامح والمودة مرغوب فيه مع كل يحب العيش بسلام، على القاعدة العامة في التعايش السلمي.

ثانياً: الدعوة إلى الصفح والعفو:

مما أكد عليه المنهج الإسلامي ضرورة إشاعة مبدأ العفو والصفح عما يفعله الإنسان خطأً أو سهواً.

قال تعالى: ﴿إِنْ يُبَدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفَوْهُ أَوْ تَعَفَّوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوَاً قَدِيرًا﴾^(٢) (إن تبدوا خيراً طاعة وبراً أو تخفوه أو تفعلوه سراً أو تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر إبداء الخير وإخفائه تشييب له، ولذلك رتب عليه قوله فإن الله كان عفواً قديراً، إي يكثر العفو عن العصاة مع كامل قدرته على الانتقام، فأنتم أولى بذلك، وهو حث للمظلوم على العفو، بعدما رخص له في الانتظار حملاً على مكارم الأخلاق)^(٣) من اجلى المصاديق على ما ذكرناه مافعله الرسول ﷺ في مكة يوم فتحها، فمع ما لاقاه هو ومن معه من المسلمين إلا أنه قابل ذلك بالعفو والصفح، لا بالانتقام، إنه دعا لهم يوم الطائف بالصلاح والهداية، وعفا عنهم يوم الفتح، فما أبهره واتقاه ﷺ حينما قال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء.

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة النساء: الآية ١٤٩.

(٣) البيضاوي. (٢٧٣/٢).

ثالثاً: ترك العنف في الممارسة للحياة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١) يقول الشوكاني رحمة الله: (لا تفسدوا في الأرض بالنفاق وموالات الكفرة وتفريق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن فإنكم إذا فعلتم ذلك فسد ما في الأرض بهلاك الأبدان وخراب الديار وبطلان الدرائع كما مشاهد عند ثوران الفتن والتنازع^(٢) فالمسلم داعية للإصلاح ولا يكون سبباً في إفسادها، بل هو يبعد مراصد النافقين وأخلاقهم التي تكون سبباً في إيقاع الفتنة وتفريق الصفوف المتحدة.

رابعاً: ترك العنف القولي:

من خلال آياته التي تضمن الدعوة إلى ترك عنف اللسان، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّلَ الْكُلَّ أُمَّةً عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣)

ينبغي على الداعية والمجتمع المسلم أن يراعي هذا الأمر بشكل دقيق جداً، حتى لا يثير حوافظ الناس وكوامنهم في ظل ظروف صعبة وحالات نفسية متدهورة، قد تصدر من الإنسان ألفاظ غير منضبطة، ولذلك (أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مميزاً برفق في موضع الرفق، ويعنف في موضع العنف، ويكلم كل طبقة من الناس بما يعلم ما يليق بهم، وأنجع فيهم، وأن يكون غير محاب ولا مDAHن، وأن يصلح نفسه أولاً ويقومها، ثم يقبل إصلاح غيره وتقديمه)^(٤).

فإنه يعد من العنف القولي الذي يوجه للناس فيستدعي إثارة الشحناء والبغضاء، وقد

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٦.

(٢) الشوكاني. فتح القدير. (٤٢/١).

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٠٨.

(٤) البيهقي. أبو بكر أحمد بن الحسين. شعب الإيمان. تحقيق: محمد السعيد بسبوني. دار الكتب العلمية-

بيروت، ط ١ (١٤١٠)، (٨٦/٦).

يؤدي إلى الوصول إلى العنف الفعلي والقتال.

خامساً: ترك العنف في التفكير:

دعا الإسلام إلى الوسطية والاعتدال في المنهج التفكيرى الإسلامى، فلا يتعصب الإنسان ويكون حاداً في موافقة مع الآخرين، كما أنه لا يبنى القاعدة الفكرية على أساس من التعصب واستعمال العقل الباطن في تفسيرات باطلة، قد يكون لا أصل لها، أو تعطى حجماً أكبر من حجمها الحقيقي بما سيؤثر غلظة في التعاملات العملية في المجتمع الواحد، ولأجل هذا بين القرآن الكريم خطورة هذا الأمر حين قال سبحانه وتعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١) بما رحمة من الله لنت لهم أي فبرحمة وما مزيدة للتأكيد والتنبيه والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد أن خالفوه ولو كنت فظاً سيئ الخلق جافياً غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا إليك، فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله، وشاورهم في الأمر أي في الحرب إذ الكلام فيه أو فيما يصح أن يشاور فيه استظهاراً برأيهم وتطبيقاً لنفوسهم وتمهيداً لسنة المشاورة للأمة (٢).

الركن الثاني: وهي المعالجة التشريعية:

فنقصد منها سن القوانين الصارمة التي تردع عن العنف وتواجهه حتى لو وصلت إلى درجة الإعدام، وهذا يستفاد من قانون القصاص الذي سنه القرآن الكريم وأشير إليه في غير واحدة من آياته الشريفة. والغرب وإن كان بالأمس يرفض هذا القانون ويعده خلاف الإنسانية لكنه اليوم وجد أنه الطريق الأسلم لتطبيق السلام وإحلاله في المجتمع البشري فعاد اليوم يدعو إليه.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٢) البيضاوي. أنوار التنزيل. (١٠٨/٢).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ^طالْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبْسَعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُهُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾ (١) يقول القرطبي رحمه الله تعالى: (إن القصاص إذا أقيم وتحقق الحكم فيه ازدجر من يريد قتل آخر مخافة أن يقتص منه فيحييا بذلك معا وكانت العرب إذا قتل الرجل الآخر حمى قبيلاهما وتقاتلوا وكان ذلك داعيا إلى قتل العدد الكثير فلما شرع الله القصاص قنع الكل به وتركوا الاقتتال فلهم في ذلك حياة) (٢).

ومن هنا يتبين لنا حقيقة التشريع الرباني والاسلوب الناجع في إيقاف العنف، فإذا علم الجاني أن هناك عقوبة تنتظره إذا ما أقدم على عمل عنيف يستهدف إخوانه في الإنسانية فضلاً عن إخوانه في الدين، فحين ذلك يتوقف من أعمال العنف، وفي الآخر قال تعالى، وهو يحدثنا عن عقوبة القتل المؤمن عمداً: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (٣).

(١) سورة البقرة: الآيات (١٧٨-١٧٩).

(٢) القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. (٢/٢٥٦).

(٣) سورة النساء: الآية ٩٣.

الخاتمة

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، وباستغفاره تنزل البركات، وبالتوبة إلية تبدل السيئات إلى حسنات، والصلاة والسلام على المؤيد بالمعجزات الباهرات وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد... فإن هذا البحث له من الأهمية الكبيرة في معالجة الواقع العنيف الذي تعيشه المجتمعات المسلمة بسبب التغذية الخارجية لبذور الفتنة ومحاوله زعزعة استقرار الأمة الإسلامية، وابعادها عن الهدف الاسمي في استرجاع المسجد الأسير، من يد المحتل الصهيوني الغاصب.

إذ وجدت أن من الضرورة بمكان تجميع صفوف المسلمين، والخروج من هذه المحنة ومواجهة كيد الظالمين بشيء من الحكمة والوعي الكامل لأهداف المحتلين الغاصبين. نجد أن المجتمع المسلم ما يجمعه أكثر مما يفرقه.

فعلى هذا ينبغي دراسة أسباب العنف وتقديم الحلول الحقيقية، وعلى كافة المستويات الاقتصادية منها والسياسية والاجتماعية واحترام المذاهب والمعتقدات، وإشاعة مبدأ التعايش السلمي والمحبة والسلام والتسامح.

والذي توصلت إليه أن مبدأ المعاشية يقتضي احترام الآخر وممارسة الحرية التي لا تتعرض لحرقات الآخرين، أي الحرية المنضبطة والواعية، التي تأخذ بيد المجتمع إلى الرقي والتقدم، وتبعده عن التخلف والتنازعات الداخلية.

ونجد أن المنهج الإسلامي وضع معالجة حقيقية للعنف تتمثل في معالجة تربية نفسية تظهر من خلال تنمية معاني التسامح والمودة بين الناس والأمر بالرفقة والرحمة، وكذلك معالجة تشريعية، إذ أكد التشريع الإسلامي على مبدأ القصاص الشرعي مما يجعل الجاني والقائم بالأعمال العنيفة أمام وقفة منتظرة بين يدي القضاء لينال عقوبة ما جنت يده، ومع ما يدخر له من العقوبة في دار الآخرة، ومن المهم إشاعة هذه المبادئ ودراستها بشكل أعمق، وهو الحل الأمثل من مبدأ التقارب الذي أثبت فشله، والمداينة الباطلة، التي يسعى إليها الكثير من النفعين وأصحاب المطالب

الشخصية، وكأننا في حالة يتنازل فيها البعض عما يعتقدونه مقابل أن يتنازل الآخر عما يعتقدونه، بل قد يصل الحال أن يكون التنازل عن المبادئ من طرف واحد، وهذا ما لا تقره الشريعة الإسلامية ولا تعترف به.

واهم التوصيات التي يقدمها الباحث إلى إخوانه من المسلمين فهي ما يأتي:

١. افتتاح مراكز عملية لدراسة الواقع المعاصر، وتحديد أسباب العنف في البلاد، بعيداً عن كل الضغوطات، لأن العنف إذا حل لا يفرق بين الأبيض أو الأسود أو الغني والفقير فحسب، بل الجميع تناله نيرانه نسأل الله العافية.

٢. يجب الإسراع بالمعالجة الحقيقية لأسباب العنف دون تأخير، لأن كل لحظة تمر يسقط فيها دم إنسان بريء قتل بغير ذنب، ويهدم فيها صرح علمي ومعلم ثقافي من معالمنا، ونتأخر عن الركب الذي يسير نحو التقدم والتطور.

٣. تحسين الوضع الاقتصادي بتقدم المشاريع التي تنهي البطالة بشكل كبير، لأن أهل البلد هم أولى الناس بخدمته والانتفاع بخيراته، وهذا سيقبل الكثير من أسباب العنف المعاصر، لأن العمل سيكون في أغلب الوقت في عمله، وقد وفر قوته وقوت عياله، فلا حاجة للبحث عن الأعمال الإجرامية التي قد توفر المال بشكل غير مشروع.

٤. يجب معاقبة أسباب العنف والفتنة، حتى تقف هذه الأعمال الإجرامية لأنه كما يقال (من أمن العقوبة أساء الأدب)، وصدق الله تعالى حينما شبه القصاص العادل، بضوابطه وشروطه، ولدى المحاكم القانونية، أنه الحياة. فبالقصاص العادل يعيش الناس بأمان لأنهم يعلمون أن هناك دولة قوية تأخذ الحقوق لهم ممن اعتدى عليهم، وحتى لا يلتجئ المظلوم لأخذ حقه بالسبل غير المشروعة.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. البخاري. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. (١٩٤-٢٥٦ هـ). الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه. دار إحياء التراث العربي. ط ١. بيروت- لبنان. ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٣. البر. د. عبد الرحمن، عوامل الهدم والبناء في المجتمع الإسلامي. (د.ت).
٤. البيضاوي. القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. ت ٧٩١ هـ. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. دار الكتب العلمية. بيروت ٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ.
٥. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين: ٣٨٤-٤٥٨ هـ، شعب الإيمان، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: الدكتور: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٦. ابن تيمية، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي: ٧٢٧ هـ مجموع الفتاوى، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
٧. ألجوهري. إسماعيل بن حماد. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. دار الكتب العربية. مصر. (١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م).
٨. أبو داود، الإمام الحفظ المتقن أبو داود سليمان ابن الأشعث السجستاني الأزدي: ٢٠٢-٢٧٥ هـ، سنن أبي داود، دار الحديث، القاهرة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٩. الزبيدي. محمد مرتضى الحسين (ت ٨١٦ هـ). تاح العروس المسمى من جواهر القاموس. تحقيق: عبد الكريم الغرباوي. دار الفكر. بيروت. (د.ت).
١٠. أبو السعود (ت ٩٨٢ هـ). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.
١١. الشبل. علي بن عبد العزيز بن علي. الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف. (د.ت).

١٢. الشوكاني. محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. دار الفكر- بيروت. تحقيق: علي محمد عمر. ط ١ (١٣٩٦هـ - ١٩٧٥م).
١٣. الشنقيطي، محمد أمين بن محمد مختار الحبكي ت ١٣٩٣هـ، اضاء البيان في ايضاح القرآن، دار الفكر- بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٤. الاصفهاني. الحافظ ابي نعيم احمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. دار الكتب العلمية. بيروت. ط ١. (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م).
١٥. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: ٢٢٤-٣١٠هـ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، خرج أحاديثه: إبراهيم محمد علي، دار القلم، ط ١، دمشق، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٦. د. عبد الحليم عويس. دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية. (د.ت).
١٧. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق. مشكلة اللغو في الدين. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط ٢. (١٤٢هـ).
١٨. ابن فارس. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ). معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام هارون. دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. بيروت.
١٩. الفيروز آبادي مجد الدين محمد يعقوب، القاموس المحيط، دار الفكر- بيروت. ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢٠. القرطبي. أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. تحقيق: سالم مصطفى البدر. دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢١. ابن كثير. إسماعيل بن الكثير الدمشقي أبو الفداء (ت ٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم. دار الجليل. بيروت. ط ١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
٢٢. مسلم. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) صحيح مسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار احياء التراث العربي. بيروت. (د.ت).

٢٣. مصطفى حجازي. التخلف الاجتماعي ، سيكولوجية الإنسان المقهور. معهد الإنماء العربي. بيروت. ط ٥.
٢٤. المناوي محمد عبد الرؤوف: ٩٥٢ - ١٠٣١ هـ ، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
٢٥. ابن منظور. محمد بن مكرم العلامة أبو الفضل جمال الدين الأفرقي المصري (ت ٧١١ هـ). لسان العرب. دار الفكر. (د.ت). بيروت.
٢٦. النسفي. حافظ الدين أبو بركات عبد الله بن أحمد بن محمود: ت ٧٠١ هـ، تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٢٧. النسائي. الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، تحقيق: دكتور عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت-لبنان، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.